تجليات العجائبي في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة " لعز الدين جلاوجي.

the manifestations of the fantastic in the novel "the marquee of the dream and the bereavement "by Azzedine jallawjy.

الدكتورة: بوقدوم نجوى.

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)
nboukadoum29@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/07/11 تاريخ النشر: 2021/11/04

الملخص:

تسعى هذه المقاربة التحليلية إلى الكشف عن تجليات العجائبي على مستوى المكان والكائن في رواية "سرادق الحلم و الفجيعة"لعز الدين جلاوجي، ومحاولة رصد مجموع الحمولات والمضامين الفلسفية والإيديولوجية التي أراد الروائي التعبير عنها و مساءلتها، والكشف عن خباياها ومكنوناتها بطريقة خاصة وفريدة واستثنائية تجسدت في استثمار المتخيل واللاواقعي لمعالجة الواقعي و الراهن.

الكلمات المفتاحية: عجائبية المكان،عجائبية الكائن،الواقعي،المتخيل،السرد العجائبي .

Abstract:

This analytical study attempts to detect the presence of the fantastic novel title: The manifestations of the fantastic in the novel: The marquee of the dream and the bereavement, by Azzedine Jallawjy.

This novel is considered as one of the contempary algerian novels which adopted the fantastic as a modernist technique which possesses the competence to dissect reality and to follow its transformation and anticipate its results.

This analytical approach tired to exploit the mechanisms of the fantastic at the level character and the space.

Keywords: The fantastic space, the fantastic being, realist, imaginative, the fantastic novel.

مقدمة:

جنح الخطاب الروائي الجزائري المعاصر إلى التجريب، بحثا عن بدائل سردية جديدة بإمكانها أن تمد هذا الخطاب ذاته بمفاهيم وتصورات وميكانزمات جديدة قادرة على منح الرواية طاقة متجددة على القول والإبلاغ والتصوير، فشرع الروائيون الجزائريون المعاصرون، ضمن رؤية تفكيكية، في مساءلة المنجز الروائي، والبحث في بنياته عن إمكانات الخروج عن الرتابة السردية التي وسمته، وحولته إلى أشكال من الكتابة النمطية الخرساء والعاجزة عن القول، والإفصاح،و التعبير.

من هنا تحديدا جاءت رغبة بعض كتاب الرواية الجزائرية المعاصرة في الخروج عن طقوس الكتابة الرواية التقليدية متحججين في ذلك بأن معايير الكتابة القديمة أصبحت لا تقدر على مسايرة نبض الواقع وحركيته المتغيرة، ولا تستطيع اختراق مكنوناته، أو الكشف عن تناقضاته.

ولعل الشخصية الروائية كانت من أكثر بنيات الرواية الجزائرية المعاصرة تعرضا للتفكيك ، و التجريب، بحجة أنها ركيزة السرد وعمدته، وعليها يعول الروائي كثيرا في صياغة مشروعه السردي،و التعبير عن رؤاه وتصوراته، وتجسيد مواقفه وزوايا نظره.

كما أن البنية المكانية كانت عرضة هي الأخرى للتهديم والخلخلة، باعتبارها تسهم في نقل الدلالات النصية والتعبير عن التصورات والمضامين .

غير أن ما شكل مظهرا من مظاهر التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة هو جنوح بعض الروائيين إلى توظيف العجائبي في المتون الروائية،وتشكيل نص يتجاور فيه الواقعي والمتخيل، و الممكن والمحتمل، وتتداخل فيه حدود الطبيعي وما فوق الطبيعي، وكأن المبدع أدرك في نهاية المطاف أن الواقع فقد كثيرا اتزانه وعقلانيته، وصوابه، وأن التعبير عنه لا يكون إلا من خلال استعارة بعض المفاهيم والتصورات والمضامين من عالم متخيل، ولا واقعي، و كأن الروائي يقر في قرارة نفسه أن مشاكل العالم الواقعي ومعضلاته لن تجد حلا لها إلا من خلال عوالم متخيلة ولا واقعية، وكأن الإنسان المعاصر أصبح يعيش واقعا متناقضا ومضطربا وقلقا تسوده كثير من الضبابية ويعتوره كثير من الغموض، لدرجة أن الإنسان أصبح غير قادر على ملاحقة تغيراته، أو فهم تقلباته، فاحتمى بهذا الواقع اللاواقعي عله يجد فيه بعضا من الأنس أو العزاء، إذ " يعتبر ك.كاسطورياديس أن مهمة المتخيل و صلته التأسيسية بالمجتمع تكمن في كونه يمنح أجوبة عن هاته الأسئلة ."[1]".

ويعتبر الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي من الروائيين الذين اقتحموا باب التجريب وفتحوا مغامرة البحث عن بدائل سردية على مصراعيه، وعجت الكثير من رواياته بالمتخيل والغريب و

العجيب والمدهش، وكأني به من خلال هذا الصنيع يبحث للقارئ الجزائري وللإنسان الجزائري عن فضاءات أخرى يحتمي بها من وهج الواقع وشراسته، و يستأنس بها في غربته، ويلطف بواسطتها إحساسه بالتشيء والموت واللامعنى .

تأتي هذه الدراسة التي حملت عنوان:" تجليات العجائبي في رواية"سرادق الحلم والفجيعة" لعز الدين جلاوجي لتكشف بعض تجليات تلك العوالم العجائبية التي أثثت روايته وأطرت شخصياته، وجعلت القارئ الحذق يكتشف من خلال العجيب والغريب فضاعة الواقع وعنفه وقبحه و شراسته، ولتطرح جملة من الإشكالات المعرفية والجمالية التي أرادها الروائي عز الدين جلاوجي لكنه قالها بطريقته الإبداعية الخاصة، ولعل أهم هذه الإشكالات :

-كيف استطاع عز الدين جلاوجي في روايته " سرادق الحلم و الفجيعة "أن يعبر عن الواقعي من خلال اللاواقعي ؟

-هل استطاع عز الدين جلاوجي أن يطوع أشكال العجائبي لتوصيف الواقع المعيش، وتصويره ؟

-إلى أي مدى تمكن عز الدين جلاوجي في روايته من شحن العجائبي بمضامين وجودية و فلسفية استطاع بفضلها أن يقدم مشهدا مرعبا ودقيقا في الوقت نفسه للواقع الجزائري والعربي بكل فضاعته وقبحه؟

و قد عمدنا أول الأمر إلى الوقوف عند مفهوم العجيب والعجائبي والغريب من خلال المتون المعجمية والنقدية على حد سواء .

أولا: العجائبي : بحث في المفهوم و المصطلح و النشأة:

يطرح مفهوم العجائبي كثيرا من الاضطراب، والقلق المعرفي، ويحدث ارتباكا منهجيا، نتيجة تداخل كثرة كثيرة من المفاهيم المتاخمة له، ولعل مرد ذلك حداثة هذا المفهوم النقدي من جهة، و اختلاف مشارب النقاد، ومرجعياتهم النقدية، من جهة أخرى .

لهذا كان لزاما علينا محاولة السعي إلى ضبط هذا المفهوم، وتثبيته، والوقوف على مختلف حمولاته الدلالية، ضمن فضاءات ثقافية، وحضارية مختلفة .

1- مفهوم العجائبي عند العرب : بحث في النشأة و التطور.

إن محاولة التأصيل لمفهوم العجائبي، أول الأمر،في التراث العربي، قد تطرح، في نظر البعض، خللا منهجيا، أوزعما معرفيا، لا يتكأ على أي دليل علمي يسنده، أوحجة رصينة تعضده، ذلك أن مفهوم العجائبي، في اعتقادهم، ظهر أول الأمر عند الغرب، فهم الأولى به، والأسبق إليه، غير أن بعض الدراسات العربية النقدية الجادة اجتهدت، وأعادت قراءة التراث العربي، وغربلته، قصد الكشف عن بعض النصوص الأدبية التراثية التي تؤسس لمفهوم العجائبي، لهذا فإنه"يحق للإبداعية العربية أن تنسب لنفسها،في سياق التاريخ الأدبي الذي كانت تعيه،ابتكار فن أدبي جديد هو فن العجائبي والخوارقي، فن اللامألوف واللامحدود، فن الخيال المتجاوز الطليق وابتكار المتخيل الذي لا تحده حدود، ويجلو ذلك عبثية الإدعاءات الصريحة أو المتضمنة التي يقوم عليها عمل باحثين مثل تزفيتان تودوروف ينسبون إلى الغرب حصرا ابتكار ما أسموه "الفانتاستيك (fantastic/fantastique) وعبثية من يتعقبهم من الباحثين وهواة البحث من العرب الذين يفتنهم كل غربي منتحلا كان أوأصيلا "[2]".

إن إعادة قراءة التراث العربي قراءة شاقولية، بعيدة عن التقديس، أوالتدنيس، كفيلة بالكشف عن متون أدبية حبلى بمواصفات العجيب، والغريب، والمدهش، و" إن نصوصا من مثل كتاب العظمة، ومنامات الوهراني، والتراث الخوارقي الغرائبي الذي امتاحت منه في أدبيات الإسراء و المعراج، والدرة الفاخرة لأبي حامد الغزالي، ورسالة الغفران للمعري، وألف ليلة وليلة، والحكايات العجيبة والنوادر الغريبة، والسير البديعة من مثل سيرة الهلاليين وسيف بن ذي يزن، لبين كنوز الكتابة الفاتنة في العالم، ولدرر يندر نظيرها في فضاء الإبداع التخييلي الجموح، ولقد آن أوان دراسة هذا التراث العظيم بما يستحقه من جهد وعلم ووقت وتفتح في الفكر و تعال على الأحكام العقائدية الفجة التي أخضع وما يزال يخضع لها في أوساط التراث الرسمي في العالم العربي و خارجه ."[3].

أ-العجائبي في القرآن الكريم:

اختلفت الآراء وتباينت المواقف حول حضور العجائبي في النص القرآني، ففريق جد واجتهد في إثبات أن النص القرآني نص عجائبي، و" أن لفظة" عجيب" لا تخرج إلا في القليل النادر عن سياقها القرآني "[4]، لأنه نص مشحون بالغريب، والمدهش، والخارق، نتيجة ما يحتويه من معجزات، وقصص، ترتبط في معظمها بعالم الآخرة، وتسعى إلى تقوية إيمان المؤمن، وتقريبه من خالقه، مما يولد عنده حالة من السكينة، والطمأنينة، "ويستنتج محمد أركون قائلا:"هكذا نلاحظ أن خيال المؤمن يستمتع و يتلذذ بالحكمة اللانهائية التي تدير النظام العجيب المدهش للكون و الخلق ."[5]. ب-**العجائبي في المعاجم العربية اللغوية:**

كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ورد في "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي ، في مادة "عجب" قوله :" عجب عجبا،

وأمر عجيب عجب عجاب.قال الخليل:بينهما فرق، أما العجيب فالعجب، وأما العجاب فالذي جاوز حد العجب، مثل الطويل والطوال، وتقول : هذا العجب العاجب، أي : العجيب، والاستعجاب : شدة التعجب، وهو مستعجب ومتعجب مما يرى . وشيء معجب، أي حسن . وأعجبني وأعجبت به، وفلان معجب بنفسه، إذا دخله العجب . وعجبته بكذا تعجيبا فعجب منه."[6] .

إن قراءة متأنية لمجموع الصيغ التي ساقها الخليل بن أحمد الفراهيدي للفظة العجيب، تكشف لنا عن دلالات ترتبط بهذه الصيغ، لعل أبرزها دلالات المبالغة، والتهويل، وخاصة ما ارتبط بصيغة " العجاب"، التي تحيل على كل أمر تجاوز العادي، والمألوف، والمتواتر، أوبتعبير أدق، كل ما ارتبط بما هو غير مألوف، وخارج عن حدود المنطق.

كما أن صيغ العجيب التي وردت في "كتاب العين"، على اختلافها، تشترك ،جميعها ،في الإحالة على ما هو جميل ،وممتع.

2-إشكالية المصطلح و معضلة التجنيس:

أفردت الكتب العربية الحديثة مساحات نصية شاسعة للحديث عن مصطلح العجائبي، و ضبط خصائصه، ومواصفاته، وتحديد أبعاده، وتقاطعاته مع مصطلحات مجاورة له، ومتداخلة معه .

والمطلع على هذه الدراسات النقدية الحديثة، يلحظ، بجلاء، اضطراب مصطلح " العجائبي"، و ارتباكه، ولعل مرد ذلك اختلاف مشارب النقاد العرب، وتباين منطلقاتهم، من جهة، واعتمادهم على بعض النصوص الغربية التي أَصِّلَتْ للعجائبي، وأسست له، من خلال قراءاتهم لهذه الكتب مترجمة إلى العربية، من جهة، مع كل ما تمثله الترجمة من خيانة، وتحريف، وتزييف للمعاني الأصلية .

و عليه،" يبدو(العجائبي) من المفاهيم العصية على التحديد، فمنذ أن حاول تودوروف التقعيد له اعتوره الدارسون بالإضافة والإلغاء من كل جهة، وذلك لأسباب تكمن في بنية العجائبي نفسه، في المبادئ التي اشترطها تودوروف لوجوده، وفي الموقع الذي أراده له، وقد أعلن تودوروف نفسه أكثر من مرة أن الخطر يحدق (بالعجائبي) من كل جهة، وأنه " يحيا حياة ملؤها المخاطر، وهو معرض للتلاشي في كل لحظة ".[7] .

و لعل البحث في مسألة العجائبي /الفانتاستيك، يتخذ عند شعيب حليفي شكل المغامرة، و المجازفة، إذ " يشكل الانفتاح على تحديد الفانتاستيك مغامرة للتموضع داخل الإشكالية، وتوجيه أسئلة عدة من زوايا متباينة لكشف اشتغالها الداخلي، ومن ثمة عملها الخارجي."[8]".

وإذا عرجنا على جهود " تزفيطان تودوروف، وجدناه قد طرح في كتابه " مدخل إلى الأدب العجائبي " تصورا أكثر اكتمالا، وتناسقا، وانسجاما لمفهوم "الأدب العجائبي "، مستثمرا في ذلك، جهود من سبقوه، أو من عاصروه، ممن اشتغل على موضوعة العجائبي في الأدب، ومقدما "نظرية اعتبرها جل الباحثين أهم النظريات التي ألفت حول الموضوع، وأصبحت تشكل نظرية مرجعا حول العجائبي.".

" théorie considérée par l'ensemble des chercheurs comme la plus importante sur le sujet et devenue théorie de référence sur le fantastique." [9]" .

تتأسس خصوصية مفهوم العجائبي عند تودوروف من خلال إعادة صياغته لمفهوم التردد، و الشك، وذلك خلافا لما ذهب إليه منظرو الأدب العجائبي الذين، على اختلافهم، أكدوا أن العجائبي ينتج لحظة اللقاء العنيف، والمفاجئ، والمباغت ما بين فضاءين متناقضين : هما الفضاء الطبيعي، و الفضاء المافوق طبيعي، مما يعني أن هذه التعاريف، تفترض، سلفا،وجود منظومة من المعايير، و القوانين التي تسير العالم الطبيعي، وأن هناك تجاوزا، وخرقا لهذه المعايير، من خلال انبثاق عالم ما فوق طبيعي في الحياة اليومية، والتي تسيره منظومة من القوانين، والمعايير التي تناقض، و تعاكس قوانين واقعنا الطبيعي، من هنا، يتولد الإحساس بالحيرة، والتردد، والاغتراب عند القارئ" في حين أن التعريف الذي قدمه "تزفيطان تودوروف" للعجائبي، يفترض أن ما بدا لنا تجاوزا للحدود، لا يمكنه أن يكون في حقيقة الأمر إلا وَهْمًا، ... وإن الانفصال ما بين الفضاءين هو دائما واضح، لا اعوجاج فيه، و عليه فإن اعتبار العجائبي، كمظهر من الشك والريب، هو افتراض أن خرق المعايير لم يكن له وجود في الأصل.".

" la définition que donne Tzvetan Todorov du fantastique suppose que ce que l'on perçoit comme violation de frontière ne puisse être en fait qu'une illusion…la séparation entre les deux espaces est toujours intègre. Considérer le fantastique comme doute, c'est supposer que la violation de la norme peut ne pas avoir eu lieu. "[10]" .

ولعل هذا الاختلاف يبدو أكثر وضوحا، عندما نستعرض تعريف العجائبي عند "تودوروف"، فهو يرى أن " العجائبي هو التردد الذي يستشعره كائن، لا يعرف إلا القوانين الطبيعية، في مواجهة حدث،

يبدو، في هيئته، فوق طبيعي، ويتحدد مفهوم العجائبي، إذن،بالنسبة إلى مفهومين هما الواقعي، والمتخيل ."".

"Le fantastique, c'est l'hésitation éprouvée par un être qui ne connait que les lois naturelles, face à un événement en apparence surnaturel, le concept de fantastique se définit donc par rapport à ceux de réel et de l'imaginaire."[11]".

فالشك خاصية أساسة في تعريف العجائبي عند "تودوروف"، بل هو ما يحدد اللحظة التي يخرج فيها النص الأدبي من جنس العجائبي، ليقتحم أجناسا أخرى،مجاورة له، إذ "يشغل العجائبي زمن الشك،لكن، وبمجرد أن يتم اختيار إجابة، أو أخرى، يتم الانتقال من العجائبي، وولوج جنس آخر مجاور له، مثل الغريب، أوالعجيب.".

"Le fantastique occupe le temps de cette incertitude ;dès qu'on choisit l'une ou l'autre réponse, on quitte le fantastique pour entrer dans un genre voisin, l'étrange ou le merveilleux."[12]" .

و سنحاول في هذه المقاربة الوقوف عند بعض تجليات العجائبي في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة" لعز الدين جلاوجي من خلال جملة من العتبات النصية .

أولا:عجائبية المكـان في رو اية " سرادق الحلم و الفجيعة"."[13]"

1-على مستوى العنـــوان:

جاء عنوان الرواية على شكل تركيب اسمي، يغيب عنه الفعل مما يمنحه دلالة الثبات و السكون، و هو مكون من ملفوظات ثلاثة جاءت مترابطة باعتماد أداة الربط والوصل ونقصد بها حرف " الواو"، وأما الكلمات المشكلة للعنوان فهي بحسب ترتيبها في النظم :

كلمة سرادق و هي كلمة مفردة جمعها السرادقات و هي التي تمد فوق صحن الدار، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أومضرب أو خواء.

وجاء في القاموس المحيط قوله: السُرادِق الذي يمد فوق صحن الدار، والجمع : سرادقات، و البيت من الكرسف، والغبار الساطع، والدخان المرتفع المحيط بالشيء.

و بيت مسردق أعلاه وأسفله، مشدود كله.

و لعل القارئ الفطن والمتمعن في دلالات الجذر اللغوي لكلمة سرادق يلحظ دون عناء حضور دلالات الضبابية التي تحجب الرؤية، وتجعل الأشياء متخفية ومحجوبة وغير مرئية، وتجعل من البيت أو المنزل أو المقام فضاء قد اختفت ملامحه، وغابت تضاريسه، وفقد أبعاده الجغرافية و الهندسية، فتحول، بفعل هذا الوصف، إلى مكان متخيل، بعيد كل البعد عن الواقعية والحسية، و هنا تتدخل فاعلية التخييل لتستحضر هذا المكان الذي تسربل بالعجيب والغريب والمدهش، و الغامض.

و تزداد عجائبية هذا المكان حضورا وتجليا من خلال تلك الالتفاتة الطريفة والذكية التي أرادها الروائي دون أن يبوح بها أو يفصح عنها ونعني بها وجود تناص ضمني وشفاف ما بين الرواية من جهة والنص القرآني من جهة أخرى، فقد حضرت لفظة "سُرَادِقٌ" في القرآن الكريم في مواضع عدة، غير أن ما أثار انتباهنا وحرك رغبة الكشف والاكتشاف في نفوسنا هو ورود كلمة " سُرَادِقُ"في سورة الكهف وتحديدا في الآية رقم 29 في قوله تعالى:"إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا."[14].

وجاء في مختصر تفسير الطبري:" إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " . فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم نارا " أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا."" أحاط بكم سورها يطيف بكم."""[15].

وكأن الغاية من هذا التلامس ما بين النص القرآني ممثلا في سورة " الكهف" وما بين الرواية هو أن أهل الكهف [الفتية] قد غلب عليهم النوم فاستسلموا لسبات عميق وقد تقلبت الظروف و الأحوال عليهم، وهم في غفلة من أمرهم، وهذا تقريبا حال الجزائريين والعرب عموما، فقد ظلوا لأمد طويل يغطون في سبات عميق دون أن يدركوا شيئا من واقعهم، وما يحيط بهم، هذا من جهة و أما من جهة أخرى فإن الكهف، بما يحيل عليه من سواد دامس، وظلمة قاتمة، لا تتيح رؤية الأشياء، ومشاهدتها لا يختلف كثيرا عن الوطن العربي، والجزائر على وجه التحديد التي تحولت بما ساد فيها من ظلم وتهميش وإقصاء إلى فضاء مظلم ومعتم، لا بصيص أمل ينير عتمته، ولا شعاع نور يبدد ظلمته .

وتتجذر عجائبية المكان في الرواية وتتأسس أكثر من خلال الجمع تحت مظلة المكان الواحد ما بين المتناقضات والأضداد، ونعني بذلك حضور كلمتين يحيلان على دلالتين متعارضتين، ونعني بهما كلمة " الحلم " وكلمة " الفجيعة"، فالكلمة الأولى"الحلم" تحيل على الزمن العذب، زمن البراءة، و الطهارة، والطفولة، في حين أحالت الكلمة الثانية"الفجيعة" على زمن الموت والعنف والاغتيال، زمن العفونة والدنس، والخيانة، فهو مكان جمع ما بين المعنى ونقيضه، ومن هنا تحديدا تتولد عجائبيته، وتتأسس شعريته وبلاغته .

2-على مستوى المتن الروائي:

1-عجائبية المدينة:

تتجلى المدينة في الرواية وقد تملصت من أبعادها الحسية والهندسية، واقترنت بمواصفات حولتها من مكان جغرافي، محسوس إلى مكان افتراضي، ومجرد لا يدرك إلا بالتخييل والتوهم، فهي، أي المدينة، امرأة عاهرة، ومومس، قد فقدت طهرها وعفتها، وبراءتها، وتحولت إلى لعنة تطارد ساكنيها، وقاطنيها، قد حاصرتهم بفسقها، ومجونها، وميوعتها، وأحاطتهم بلهيب نيرانها، فأحرقتهم، و حولت حياتهم ووجودهم إلى جحيم لا يطاق، فهي كما جاءت في الرواية : "لا ورد ينمو هاهنا...لا قمر ...لا حبيبة.

لا دفئ في القلب الحزين.

لا و لا شوق ...و لا غيث ...و لا حلم أمين.

لا حب يبلسم من حبة القلب الأنين.

وحدي أنا و الظلام.

تقهقه المدينة العاهرة في سمعي ...

أيتها المدينة المومس""[16]".

إنها مدينة عاهرة لا تتوانى على قتل عشاقها،ولا تكف عن الاستهزاء بهم والسخرية منهم،" تقهقه المدينة العاهرة في سمعي، ...تتهادى أمام بصري في ثوبها الشفاف، ...تضرب على الأرض بكعبها، وتدندن أغنيتها المفضلة ."[17]"، إنها مدينة ملعونة لا يأتي من ورائها إلا الموت والخراب، "لماذا تحاصرني المدينة الملعونة بنظراتها الشبقية؟؟. "[18]".

إنها مدينة لعوب، تجيد لعبة الغواية والافتتان، تتحدى قاطنيها، ولا تقيم وزنا لمأساتهم و آلامهم، "وتناهى إليَ وقع أقدام المدينة ترقص ثملة تضرب الأرض بكعبها العالي."[19]".

إن مأساة إنسان القرن الواحد والعشرين هي مأساة مكانية بامتياز، فقد أصبح الإنسان المعاصر يشعر بنوع من الغربة والاغتراب والتشيء، إنه إحساس فظيع باليتم والضياع والتيه، و تحولت الأمكنة إلى لعنة تطارده، وتكسر أضلاعه، وتفتت عظامه، وتحول العالم والكون بأسره إلى فضاء خرب وقاتل ومدمر، إنه على حد تعبير توماس ستير إليوث أشبه بـ[الأرض اليباب] التي لا تنبت عشبا ولا

تخصب ثمرا، بل تزهر جثثا وأمواتا، إن الكون برمته قد استحال إلى مدينة قد لفها الضباب الشتائي الكثيف، فأصبحت شبيهة بمدينة الوهم والخيال، إنها على حد تعبير ت .س . إليوث" ...مدينة الوهم ،

تحت الضباب الأسمر من فجر شتائي ،

ما كنت أحسب أن الموت قد طوى مثل هذا الجمع

تلك الجثة التي زرعتها السنة الماضية في حديقتك،

"هل بدأت تورق ؟ هل ستزهر هذه السنة ؟

" أم أن الصقيع المباغت قد أقض مضجعها؟."[20]""

هذا المكان الظالم والقاهر والمستبد والمتسلط،مكان لا رحمة فيه ولا خير يرتجى من ورائه، إنه على حد تعبير الشاعر عبد المعطي حجازي " مدينة بلا قلب "، حيث يعلن المكان عن تمرده وثورته ضد الكائن، ويتحول إلى طرف معارض ونقيض، للإنسان، ويتولد عن هذه المواجهة الصادمة ما بين الكائن والمكان الإحساس بالدونية والاحتقار والإذلال، إن الإنسان في مدينة عبد المعطي حجازي شبيه بالوريقة التي تتلاعب بها الرياح، وتقذفها من زاوية إلى أخرى ، ليعيش الإنسان حينها إحساسا مريرا بالعبثية واللامعنى والتشيء، ويصيبه دوار التيه والضياع وسط رحابة الميدان و شساعته.:"

أنا ..و المدينة.

هذا أنا،

و هذه مدينتي

عند انتصاف الليل

رحابة الميدان ، و الجدران تل

يبين ثم تختفي وراء تل

وريقة في الريح دارت ثم حطت ، ثم

ضاعت في الدروب."[21]" .

هذا الإحساس القاتل بعنف المكان واستبداده تجلى من خلال هذا المقطع السردي الوارد في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة" لعز الدين جلاوجي والذي حمل، هو الآخر،عنوان " أنا و المدينة":

أنـا والمدينة

الغربة ملح أجاج...

وحدي أنا والمدينة...

ثكلت الهوى ...ثكلت السكينة...

لا ورد ينمو هاهنا ...لا قمر ...لا حبيبة...

لا دفء في القلب الحزينْ...

لا ولا شوق ...ولا غيث ...ولا حلم أمينْ...

لا حب يبلسم من حبة القلب الأنينْ...

وحدي أنا والظلام...

وجدران تهاوت على القلب المعنىَّ...

وغبار تثاءب يغتال من جواي السلام...

وحدي أنا والمدينة... "[22]".

عمد الروائي عز الدين جلاوجي إلى أنسنة المكان وتحويله من وجوده الجاف والهندسي والجامد إلى الوجود المعنوي والحي والمتحرك،وتحولت المدينة بفعل هذا الميكانيزم إلى امرأة قاتلة ومدمرة و ملعونة، وهي بهذا جسدت أنموذج "المرأة القاتلة، وهي امرأة، أو شخصية عادة ما تكون أنثوية، يهدف سلوكها، عن وعي أو عن غير وعي، إلى الوصول بالرجل إلى هاويته، أو ضياعه، أو وضعه في موقف مذل ومهين ".

"C’est une femme ou un personnage usuellement féminin, dont le comportement conscient ou inconscient vise à amener l’homme à sa déchéance ou à sa perte ou à le placer dans une situation humiliante." [23] ".

اختزنت المدينة كل الشرور والآثام،و تماهت في شخصية ميدوزا رمز كل الشرور والخطايا، و هنا تحديدا تحولت المدينة إلى أنموذج المرأة القاتلة والغاوية، " وهي امرأة قادرة على القتل، بالمعنى الصريح للكلمة، وذلك باستعمال سلاح أو أي أداة أخرى، ولكنها امرأة يمكنها أن تقتل باستعمال غوايتها كذلك، ويكون ذلك باستعبادها للرجل الذي يشتهيها ويحبها"".

"C'est une femme qui est capable de tuer au sens explicite du terme, à l'aide d'une arme ou de tout autre outil, mais c'est une femme qui peut aussi tuer par sa séduction ,et c'est en asservissant l'homme qui la désire et l'aime."[24]"

و هذا تحديدا ما جسده المقطع السردي التالي :

تقهقه المدينة العاهرة في سمعي ...تتهادى أمام بصري في

ثوبها الشفاف ...يتصافح ثدياها ...شكوتاها ...تضرب على

الأرض بكعبها ...تدندن أغنيتها المفضلة.

أيتها المدينة المومس...

إلى متى تفتحين ذراعيك للبلهاء ...؟؟

إلى متى تُرضعين الحمقى والأغبياء ...؟؟

إلى متى أيتها المدينة تمارسين العهر جهارا دون حياء..؟

إلى متى تعرش فوق مفاتنك الطحالب ...الفئران...

والخنافس ...تعلي قصورا ...؟؟

يا ...أيتها المدينة المومس!! ..."[25]".

وهنا تحديدا تتجلى عجائبية المكان/المدينة وغرائبيته،فتلك المدينة قد خرجت، بفعل فاعلية التخييل، من بعدها المادي والبارد والجاف إلى العد المعنوي والإنساني والممتلئ كراهية وحقدا و شرورا، إنها امرأة مومس وعاهرة،لقد تماهت المدينة في شخصية ميدوزا، "إنها رمز الموت المقدر على كل الرجال . "" .

elle est le symbole de la mort à laquelle chaque homme doit faire face. "[26]"

وجسدت كل ما هو جميل ومخيف في الوقت نفسه وهي في هذا لا تختلف عن أسطورة ميدوزا "حيث يمتزج فيها الرعب بالجمال، فالقرقون كائن متوحش، تتقاطع فيه و تتماهى كل الصور والأنماط،فيحضر فيه الجميل والقبيح، والإلهي والحيواني، والمتسامي والوضيع. "[""] .

"là ou la terreur se mêle à la beauté, la gourgogne est un animal sauvage, dans lequel toutes les formes et tous les motifs se croisent ,et convergent , de sort que le beau et le laid, le divin et l'animal ,le transcendent et le vil sont présents."[27]".

تحولت المدينة إلى أنموذج " المرأة الشيطان، حيث يصبح بيتها هو الطريق المؤدي إلى الجحيم، إنها تقودك مباشرة إلى هاوية الموت ."[".]

"la femme/diable dont sa maison devient la route qui vous guide à l'enfer, elle vous mène tout droit à l'abime de la mort"[28]"

و هذا المعنى تحديدا هو ما جسده المقطع السردي التالي :

والحقيقة أني جئت أسأله عن المدينة المومس التي ظلت

تتهادى أمام بصري في ثوبها الشفاف

أرهبها ...أنا أرى في لحظها شهيق الشهوة ...خوار الشبقية...

ليس لي بها طاقة ...أخشى أن تبتلعني ...إنها تبتلع الجميع...

هي شيطان ...ملعون ...مطرود ...منبوذ..."[29]"".

ثانيا : عجائبية الكـــــائن في رو اية " سرادق الحلم و الفجيعة":

1-الغــراب:

تعتبر شخصية" الغراب " في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة " لعز الدين جلاوجي شخصية فاعلة ومحركة في المتن الحكائي، فهي التي تقرر وتأمر وتجزي وتعاقب، بل الأكثر من كل هذا نجد الغراب يجمع سكان المدينة وقد امتلأ تجبرا وكبرياء، وتطاولا ، ليقرر أنه آن الأوان أن ينصب على هذه المدينة إلها جبارا، قادرا ومقتدرا، يحمي المدينة من الطامعين ويصد عنها البلاء، وهذا ما جاء على لسان الغراب وجسده المقطع السردي التالي :" لقد جمعتكم اليوم لننجز أعظم معجزة الدنيا، ...أعظم

معجزة الكون، ...لا بد لهذه المدينة يا ...من إله جبار ...يحفظ الديار ...و يرد الأشرار ...و يحمينا من العار و الشنار."[30]".

إنه كائن شنيع، وقاتل لا يجر وراءه إلا الخراب والدمار والظلامية، والموت، وهذا ما جسده المقطع السردي التالي على لسان الغراب:

"أنهى الغراب خطبته العصماء بقوله:

...-يا ...الأخدان ...منقاري خلفكم، ومخالبي أمامكم،

وحذري محيط بكم، وليس لكم والله إلا بطني، به تحتمون،

والله لو أمرت أحدكم أن يدخل من هذا البلعوم(وفتح فاه)

فدخل في غيره لأجزن رأسه."[31]".

وهنا تحديدا تتحقق عجائبية هذا الكائن، فهو قد خرج من طبيعته الحيوانية، غير العاقلة، إلى الطبيعة البشرية العاقلة والمدركة، بل أصبح سيدهم وآمرهم، وولي نعمتهم .

إن هذا الكائن /الغراب لم يتحول من هيئة وطبيعة إلى هيئة وطبيعة أخرى، بل نجده قد جمع ما بين الطبيعتين والهيئتين في الوقت نفسه، ونقصد بهما الطبيعة البشرية والطبيعة الحيوانية، فهو لا زال يحتفظ بخصائصه الحيوانية، فلا زال يمتلك منقارا وجناحين ومخالب، وهذا ما جسده المقطع السردي الموالي :"

"شهق الغراب شهقة عالية ورفرف في السماء ثم هوى إلى

الأرض، ثم حلق في السقف، ثم هوى مرة ثانية،"[32]".

لكنه في الوقت نفسه، يظهر في الرواية وقد امتلك الكثير من المواصفات الإنسانية،فها هو ذا الغراب يتوجه بكلامه إلى سكان المدينة مخاطبا إياهم،وهذا ما جسده المقطع السردي التالي:" وأقبلت المدينة من بعيد وقد اختلط عليها البكاء والضحك...

ولوحت للغراب بيديها، فرد عليها التحية وقال:

هاهي مدينتكم قد حضرت فحيوها.

واضطرمت الأيدي والحناجر ثانية تصفيقا ...هتافا ...وقبل

أن تخبوا قاطعها مواصلا:

وهل هناك أعظم من إله نصنعه بأيدينا ...ننحته

بأظفارنا ...ننفخ فيه من أرواحنا؟؟؟ ولقد سماه لعن السارمي

ولكني استقبحت هذا الاسم الشنيع، واخترت له اسما رائعا...

إنه قبحون ...قبحون العظيم..."[33]".

إن هذا الكائن المزيج ما بين البهيمية والآدمية قد امتلك القدرة على النطق والكلام، وامتلك كذلك سلطة إقناع استطاع بها أن يفرض آراءه وتصوراته على سكان المدينة ، لدرجة أنهم افتتنوا به وبجلوه وأصبحوا لا يرفضون له طلبا ولا يردون له أمرا، وهذا ما جسده المقطع السردي التالي:"

...تشرئب أعناقهم للسيد غراب في إعجاب شديد ...ترتفع صيحاتهم

وتصفيقاتهم وتهليلاتهم في كل لحظة وعند كل جملة مؤيدين

ما يتفوه به الغراب."[34]".

غير أن الغراب /هذا الكائن العجائبي قد جسد كل أنواع الشرور والآثام، وأصبح معادلا موضوعاتيا للموت وللحداد ولكل المآسي والفجائع، إنه رمز الظلام والظلامية، والخطيئة ، وارتبط مظهره السوداوي القاتم، والحالك بالشعور بالقلق والتوتر والاكتئاب، "وهكذا فإن التقييم السلبي للسواد يعني، حسب رأي موهر :"الخطيئة والقلق والتميز والتمرد في نفس الوقت."[35]"، وهذا ما جسده المقطع السردي التالي :" وقال آخرون إن السواد على صفحة القمر هو صورة الغراب لا غير، لقد أفنى الغراب عمره في خدمة المدينة وحبها، وعشقها فلما أراد أهلها أن يكافئوه لم يجدوا أحسن من أن يرسموه على صفحة القمر ليراه الثقلان."[36]".

بل الأكثر من هذا أن شخصية الغراب في رواية " سرادق الحلم والفجيعة " لعز الدين جلاوجي قد جسدت كل ما هو مدنس وملعون، فهو من نسل الشياطين الذين تم طردهم من الجنة، وهذا تحديدا ما جسده المقطع السردي التالي :" وقيل إن الغراب والسيد لعن أقصد نعل وأتباعهما إنهم إلا من مردة الشياطين وعتاة الأباليس مسخوا بشرا سويا"[37]".

الخاتمة:

سعت هذه الورقة البحثية إلى رصد تجليات العجائبي في الخطاب الروائي " سرادق الحلم و الفجيعة"لعز الدين جلاوجي، على مستوى المكان والكائن، والكشف عن حمولاته الوجودية، و الفكرية على حد سواء، وقد خلصنا إلى جملة من النتائج التي يمكن اختزالها في النقاط التالية:

- عمد الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي في روايته " سرادق الحلم والفجيعة"، وضمن مشروعه السردي القائم على التجريب، إلى تفكيك الأمكنة، وتقويض أركانها، ومحاولة التأسيس لمكان يتجاوز الأبعاد الطوبوغرافية، ليشحن بدلالات وجودية وفلسفية،فالمكان /المدينة في الرواية قد تحول إلى امرأة مومس وعاهرة، لا تجيد إلا الغواية والافتتان.

- جسد المكان/المدينة في الرواية أنموذج المرأة القاتلة[la femme fatale]، وهي امرأة مرغوبة و مرعبة في الوقت نفسه.

- استطاع عز الدين جلاوجي في الرواية، من خلال أنسنة المكان ونفخ الروح فيه، تصوير معاناة إنسان القرن الواحد والعشرين، وهي،في نظره، مأساة ناتجة عن عنف الأمكنة، وسلطتها، و غوايتها، مما ولد إحساسا فظيعا ومريرا بالتيه والضياع، وتحولت المدينة في الرواية إلى معادل موضوعاتي للموت والخراب الإليوثي .

- تجلت عجائبية الكائن في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة" لعز الدين جلاوجي من خلال استحضاره لشخصية الغراب، وهي شخصية ذميمة وممقوتة ومكروهة، جسدت كل أشكال الوضاعة والظلم والاستبداد والعفونة.

- إن الكائن /الغراب في الرواية جسد كل أشكال الظلامية والشر، وتجلت عجائبيته في الجمع ما بين الصفات الآدمية والحيوانية، ليحيل في آخر المطاف على أنموذج القهر والاستبداد السلطوي في كل أشكاله.

- استطاع الروائي عز الدين جلاوجي في رواية " سرادق الحلم و الفجيعة" أن يصور بؤس الواقع الجزائري، والعربي،والإنساني من خلال الإتكاء على عتبة العجائبي والمافوق طبيعي .

وفي اعتقادنا المتواضع، فقد وُفِقَ الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي،في روايته " سرادق الحلم و الفجيعة"، إلى أبعد الحدود، في رسم صورة قاتمة، وبشعة، لكنها في الوقت نفسه حقيقية و واقعية،

عن خراب وعقم حضارة القرن الواحد والعشرين،مستثمرا في ذلك بلاغة العجائبي، و قدرته الفائقة على القول والتعبير.

لقد أدرك الروائي عز الدين جلاوجي، بفضل حدسه،وقدرته على الاستشراف والتنبؤ، خواء الحضارة وعقمها، وخرابها، إنه أنموذج المبدع الحق الذي يرى ما في رحم الفصول قبل مجيئها، و كان يضمر في داخله إحساسا قاتلا ومرعبا " بأن الطوفان آت لا محالة حين يحين الأوان."[38]".

قائمة المراجع:

1- نور الدين الواهي : المقدس و المجتمع ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، د ط، 2011.

2- كمال أبو ذيب "الأدب العجائبي و العالم الغرائبي في كتاب العظمة و فن السرد العربي ، دار الساقي ، بيروت، لبنان ، ط01، 2008.

3- حسين علام :العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف، ط01، 2010.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن): كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، و الدكتور إبراهيم السامرائي ،الجزء01 ،باب العين و الجيم و الباء معهما.

5- لؤي علي خليل : عجائبية النثر الحكائي - أدب المعراج و المناقب ، التلوين للتأليف و الترجمة و النشر، دمشق، سوريا ، 2007.

6- شعيب حليفي : شعرية الرواية الفانتاستيكية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،منشورات الاختلاف ، دار الأمان، ط01 ، 2009.

7- Rachel Bouvet : étrange récits, étrange lecture, essai sur l'effet fantastique presse de l'université de Québec, 2007.

8- Florant Montachar : fantastique et évènement, étude comparée de jules Verne, annales littéraires de l'université de Franche-Comté, 1997.

9- Tzvetan Todorov : Introduction à la littérature fantastique, éditions du Seuil, 1970.

10- عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، دار المنتهى للطباعة و النشر و التوزيع،

11- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:مختصر تفسير الطبري ، المجلد الثاني، مكتبة رحاب ، الجزائر ، دط،1991.

12- ت.س .إليوت:الأرض اليباب ، الشاعر و القصيدة ،عبد الواجد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة منقحة ، 1995.

13- أحمد عبد المعطي حجازي :ديوان مدينة بلا قلب ، مكتبة العرب ، د.ط، د،ت.

14-Béatrice Grandordy : la femme fatale, ses origines et sa parentèle dans la modernité, l'Harmattan, Paris, 2013.
15-Alain Bertrand : L'archémythe des amazones, université Paris –Sorbonne, 2000.
16-Laurence Roussillon –constanty : méduse au miroir esthétique romantique de Dante Gabriel Rossetti, université Grenoble, 2008.
17-Murielle Durant Garnier : les yeux, petite philosophie des images médisante m-èditer, Paris.
18-Khathryn Mary Bulver : les femmes-démons, figuration de la femme dans la littérature fantastique, P. Long, 1995.
19-جيلبير دوران:الأنثروبولوجيا رموزها ،أساطيرها ، أنساقها ،ترجمة مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،الطبعة الثالثة، 2006.

الهوامش :

1- نور الدين الواهي : المقدس و المجتمع ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2011،د ط، ص:14.

2-كمال أبو ذيب "الأدب العجائبي و العالم الغرائبي في كتاب العظمة و فن السرد العربي ، دار الساقي ، بيروت، لبنان ، ط01، 2008، ص :09.

3-المرجع نفسه، ص: 10،11.

4-حسين علام :العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف، ط01، 2010، ص:59.

5-المرجع نفسه ، ص :60.

6-الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن): كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، و الدكتور إبراهيم السامرائي ،الجزء01 ،باب العين و الجيم و الباء معهما، ص:235.

7-لؤي علي خليل : عجائبية النثر الحكائي - أدب المعراج و المناقب،التلوين للتأليف و الترجمة و النشر ، دمشق، سوريا ، 2007، ص : 13.

8-شعيب حليفي : شعرية الرواية الفانتاستيكية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط01 ، 2009 ، ص : 23.

9-Rachel Bouvet : étrange récits, étrange lecture, essai sur l'effet fantastique, presse de l'université de Québec, Paris, 2007, p : 43.
10-Florant Montachar : fantastique et évènement, étude comparée de jules Verne, annales littéraires de l'université de Franche-Comté, 1997, p : 190.
11-Tzvetan Todorov: Introduction à la littérature fantastique, éditions du Seuil, 1970, p : 29.
12-Ibid. p : 29.

13 -عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، دار المنتهى للطباعة و النشر و التوزيع،

14-القرآن الكريم : سورة الكهف ، الآية 29.

15-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:مختصر تفسير الطبري ، المجلد الثاني، مكتبة رحاب ، الجزائر ، د.ط،1991،ص 10،11.

16-عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، ص:8،9.
17-المصدر نفسه ، ص :09.
18-المصدر نفسه ، ص : 49.
19- المصدر نفسه ، ص :59.
20- ت.س .إليوت:الأرض اليباب ، الشاعر و القصيدة ،عبد الواجد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة منقحة ، 1995، ص : 38،39.
21- أحمد عبد المعطي حجازي :ديوان مدينة بلا قلب ، مكتبة العرب ، د.ط، د،ت ،ص : 99.
22- عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، ص:8،9.
23- Béatrice Grandordy : la femme fatale, ses origines et sa parentèle dans la modernité, l'Harmattan, Paris, 2013, P : 13.
24- Alain Bertrand : L'archémythe des amazones, université Paris –Sorbonne, 2000, P : 272.
25- عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، ص:9.
26- Laurence Roussillon –Constanty : méduse au miroir esthétique romantique de Dante Gabriel Rossetti, université Grenoble, 2008, p : 34.
27 - Murielle Durant Garnier : les yeux, petite philosophie des images médisantes, m-èditer, Paris, p : 11.
28 - Kathryn Mary Bulver : les femmes-démons, figuration de la femme dans la littérature fantastique, P. Long, 1995, P : 17.
29- عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم و الفجيعة، ص:18.
30-المصدر نفسه :ص:14.
31-المصدر نفسه :ص:27،28.
32-المصدر نفسه:ص:30.
33- المصدر نفسه:ص:14.
34- المصدر نفسه:ص:83.
35- جيلبير دوران:الأنثروبولوجيا رموزها ،أساطيرها ، أنساقها ،ترجمة مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،الطبعة الثالثة، 2006،ص:65 ،
36- عز الدين جلاوجي: "سرادق الحلم و الفجيعة":ص:54.
37- المصدر نفسه:ص:66.
38- المصدر نفسه:ص:133.